

القيادة الفلسطينية الموحدة؛ أهميتها وضرورتها واحتمالات التعطيل؟

مع وفاة ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية دخلت القضية الفلسطينية في منعطف جديد، وفتحت الساحة الفلسطينية على عدد من الاحتمالات. وصار لا بد من طرح مجموعة من الأسئلة حول الأولويات في الساحة الفلسطينية وجدول أعمال كل طرف من الأطراف.

لا بد من الاعتراف أولاً بأن رحيل الأخ أبو عمار أتى في ظروف سياسية وأمنية واجتماعية صعبة يعيشها المجتمع الفلسطيني، وفي وقت بالغ التعقيد في الساحة الدولية. ياسر عرفات رحل والمجتمع الفلسطيني يعاني من ما يلي:

- الحصار الإسرائيلي يشهد على المجتمع الفلسطيني والعدوان الإسرائيلي يتسع بشتى الأساليب، والحكومة الإسرائيلية تنفذ مخططاً قائماً على القتل والتدمير والعنف، بهدف تطويق الإرادة الفلسطينية وفرض مشاريع سياسية على الفلسطينيين تقيدهم وتمنعهم من الحركة. والعنوان السياسي الأبرز المقدم صهيونياً هو وقف المقاومة وتفكيك مجموعاتنا وتوفير الأمن للمجتمع الصهيوني والقبول بدولة فلسطينية على مساحة ٢٠-٤٠٪ من الضفة الغربية شرط أن تؤول قضايا الحل النهائي إلى عشر أو عشرين سنة، ويعتبر مشروع شارون للانسحاب من غزة هو النموذج المعروف، وخلال له يتم امتحان قدرة السلطة الفلسطينية على التجاوب مع المصالح والمشاريع الصهيونية. - العالم العربي يعيش حالة مأساوية من الانهزام والضعف والتراجع، والأنظمة الرسمية العربية فقدت في معظمها قدرتها على الممانعة، وسلّمت غالبيتها بالأولويات الأمريكية في المنطقة وتبنتها وصارت تروج لها. ومن هذه الأنظمة من صار يحرض الفلسطينيين على وقف المقاومة والانصياع للمشاريع السياسية المطروحة، وزادت حالة الانهزام العربي أكثر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وتفاقمت بعد تبني الإدارة الأمريكية لمشاريع إدخال الديمقراطية إلى أنظمة الحكم في العالم العربي.

- إن أوراق القوة الموجودة في العالمين العربي والإسلامي وأهمها المقاومة في جنوب لبنان والصمود السوري والأسلحة النووية الإيرانية باتت عرضة لهجمة أمريكية قاسية تستهدف تحجيمها وتعطيلها وإبعاد سوريا عن لبنان مما يمنح قوة للاحتلال الإسرائيلي ويشعره بالزيد من الأمان وسيسمح بتمرير المشاريع الصهيونية.

- إن الولايات المتحدة تبنت بالكامل وجهة النظر الإسرائيلية وسهّلت للصهاينة حربهم الإرهابية على الفلسطينيين، وسمحت لهم ببناء الجدار الفاصل وأقرت ضمّ المستوطنات وأسقطت حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم واعترفت بيهودية الدولة الصهيونية ووافقتهم في وصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، مما سمح للإسرائيلي بتصعيد عدوانه على الفلسطينيين وتجميد أي تحرك حتى لو كان بمستوى «خارطة الطريق». فغطت الولايات المتحدة دورها بالتواصل مع جميع الأطراف وأسقطت أي ادعاء يمكن أن يقال عن رعايتها للسلام ومثل الرئيس الأمريكي جورج بوش في تراجعه عن إقامة الدولة الفلسطينية عام ٢٠٠٥ قمة الخداع في الموقف الأمريكي، وأعطى نموذجاً عن مدى انصياع إدارة بوش للسياسات الإسرائيلية، ولعل هذا النموذج يصلح لإقناع كل من ينتظر الضغوطات الأمريكية على الكيان الصهيوني بخطأ هذا الاعتقاد.

في الحالة الفلسطينية الداخلية رحل الأخ أبو عمار والصورة على الشكل التالي:

- معاناة إنسانية واجتماعية فلسطينية هائلة بسبب سياسة التدمير والقتل والعنف الإسرائيلية. والتي تواكبها سياسة الحصار والإغلاق ومصادرة الأراضي ووضع الفلسطينيين في ساحات اعتقال واسعة.

- يقابل هذه المعاناة صمود فلسطيني أسطوري في وجه الدبابات والمدرمات، عبّرت عنها المواجهات الرائعة التي خاضها الأبطال في رفح وخانيونس وجباليا وجنين والخليل ونابلس. ويترافق ذلك مع الالتفاف الشعبي الفلسطيني على المقاومة والحماية النفسية والاجتماعية التي يوفرها المجتمع الفلسطيني للمقاومين وعائلاتهم.

- إصرار المجتمع الفلسطيني على المحافظة على الانتفاضة والمقاومة وعدم التفریط بهما، والتمسك بما أنجزته المقاومة وحققه الصمود الفلسطيني. وهذا يشير إلى معارضة الشعب الفلسطيني العودة إلى نفس النهج التفاوضي اللامحدود، وإلى الحذر من الانخداع مجدداً بالمشاريع الإسرائيلية. وبرز في السنوات الأخيرة وعي فلسطيني أكثر ينادي بعدم التفریط بالحقوق والثواب الوطنية وبضرورة استثمار منجزات الانتفاضة والصمود في مشاريع سياسية تخلص شعبنا فعلياً من الاحتلال، وتحفظ له حقوقه التي يناضل من أجلها.

- هناك وعي فلسطيني واضح تجاه أهمية الوحدة الوطنية وتعزيز الصمود الفلسطيني في مواجهة العدوان وضرورة رصّ الصفوف لمنع أي حالة من حالات الاختراق الإسرائيلي لمجتمعنا، عبر أي شكل من أشكال الخداع. وشدّت الحالة الفلسطينية في أوقات سابقة على ضرورة عدم تقديم ضمانات أمنية للاحتلال داعية في نفس الوقت إلى التعامل بجديّة ومسؤولية مع أي انسحاب إسرائيلي ممكن أن يحصل من أي منطقة فلسطينية، تحت ضغط المقاومة، على قاعدة أن تتوافق القوى الفلسطينية على إدارة المناطق التي سينسحب منها الاحتلال بشكل يعود بالمنفعة على المجتمع الفلسطيني.

- يلمس الجميع حصول تبدلات وتغيرات في الخارطة السياسية الفلسطينية في السنوات الأربع الماضية. فالتيار الذي تمثّله المقاومة تجذّر أكثر في الشارع الفلسطيني وأصبح الخيار الأول للجماهير ومحط آمالها وتطلعاتها، وتراجع تيار التسوية ومؤيديه ودخل أركانه في صراعات وخلافات شخصية وانهمكوا في تقاسم الحصص والمغانم وتوزيع المناصب فيما كان الشعب يعاني ويصمد ويواجه الاحتلال. وساهم عدم تبني السلطة للمقاومة وعدم قيام السلطة وأجهزتها ووزاراتها بواجبها لإغاثة المجتمع الفلسطيني في تراجع حضور السلطة شعبياً، وفقدت بريقها السياسي ورصيدها الشعبي بعدما أذيعت تقارير الفساد والهدر المالي وأخذ الفلسطينيون علماً بمن كان يدعي النضال ويسرق خبز الفقراء.

- يأخذ الفلسطينيون على المفاوضات الفلسطينية تحييزهم الأعمى إلى المفاوضات واستعدادهم الدائم للتخلي عن كل ما يُطلب منهم. وأصيب المجتمع الفلسطيني بحالة من الدهشة والذهول بعدما أعلنت تفاصيل وثيقة جنيف التي تنازل فيها المفاوضات عن حق العودة وعن القدس، وشجّع ذلك الفلسطينيين على ضرورة الانحياز إلى المقاومة والثقة أكثر بخطتها ونهجها، خاصة وأن زعماء المقاومة دفعوا ثمن مواقفهم واستشهدوا دفاعاً عن أبناء شعبهم.

أمام ذلك ما هو المطلوب من السلطة الجديدة؟ اليوم تدخل السلطة في حالة جديدة، تملّحها ضرورات الوراثة السياسية وتقاسم الصلاحيات وتوزيع المكاسب. وهذا يستدعي من القيادة الجديدة في السلطة الفلسطينية أن تقوم بإجراء دراسة نقدية وموضوعية معمّقة للسنوات العشر الماضية، وما جناه اتفاق أوسلو على الشعب